التجديد الثقافي والتحرر الفكري

الطاقة المحركة ، هو مبدع التاريخ الكوني » . والمشكل بالنسبة الينا واضح : اما ان نساهم في انعتاق الجماهير وفي اخذها على عاتقها الثقافة . واما ان نسترسل في عملية الحضانة والوصاية ونتمسك باحتكار الثقافة والفكر .

وهذه القفزة التي ندعو اليها لا تاتي الا بمقاومة صريحة للفكر النخبوي والتكنوقراطي وبالتفكير الذي يحاول خلق درجات في ميدان التعبير ، وبان يضفي على ثقافة الشعب صيغة السذاجة والفولكلورية المحضة . وهذه القفزة الكيفية منوطة بالربط الضروري ما بين النظرية والممارسة العملية ، وبالتزامات دقيقة تجاه طبيعة المجتمع والحكم في المستقبل . انها منوطة كذلك بالنسبة للمثقفين البرجوازيين الصغار بعملية مغادرة نهائية : ايديولوجية وطبقية ، تؤهلهم الى الانغماس في بحر الجماهير والى اعتناق ايديولوجيتها الثورية .

الحركة الطلابية الاوروبية نقد الثقافة والجامعة البرجوازية

التيار الاخير هو التيار الطلابي في اوروبا ، والذي كان قد ادى فيما ادى الى حوادث مايو ١٩٦٨ في فرنسا ، وقبلها في المانيا وايطاليا .. الخ . ومن الملاحظ ان هذا التيار قد اتسم بطابع التفكير والخلق الجماعيين . فالانتاج الضخم لهذا التيار لم يكن انتاج مفكرين بارزين او كتاب او فنانين مشهورين . وبعد ان استطاع الحكم البرجوازي ان يقمع هذه الثورة ، اخذت الجامعات الاوروبية ودور النشر الراسمالية ، والاوساط المثقفة تنهال على حصيلة هذه الاحداث من اجل تقييمها وتاريخها والاستحواذ على اكتشافاتها .

ولكن رغم هاته المحاولات فان افكار مايو ١٩٦٨ قد كونت حصيلة مستقلة تمام الاستقلال عن الايديولوجية المهيمنة في الغرب الراسمالي ، ووضعت الاسس الحاسمة لانبعاث فكر جديد وثقافة جديدة .

ويصعب علينا ان نلخص كل الافكار الجديدة التي طرحت في كل الميادين والقطاعات لانها تصدت الى جميع معطيات ووقائع المجتمع والثقافة والهياكل السياسية والايديولوجية . لهذا نقتصر على بعض العناصر الاساسية .

فما تطرق الى نقده الطلاب الاوروبيون الفكر والثقافة الغربية البرجوازية . فوضحوا ان شكل الثقافة الغربية ليس كما يزعم البعض شكل ازمات نفسية واخلاقية وحضارية او ازمة التخاطب واللغة . بل هو واقع السيطرة الايديولوجية التي تمارسها البرجوازية في كل الميادين وعلى كل اجهزة التعبير والتواصل . فليس من الممكن في هذا الوضع ان تتبلور ثقافة جديدة الا اذا تم تحطيم الجهاز الراسمالي .

وبين الطلاب والمثقفون المتمردون ان جل الحركات الادبية والفنية والفلسفية التي ظهرت في الغرب في هذا القرن لم تات بشيء جديد فيما يتعلق بانعتاق الثقافة والفكر من دائرة الاقتصاد الراسمالي ومن قبضة الايديولوجية البرجوازية . فكل هذه الحركات ولو كانت تبين في بعض الاحيان ولا سيما في بدايتها نوعا من التمرد والخاصيات ، لا تلبث آن تندمج في منطق الجهاز العام وفي مداره وتصبح جزءا لا يتجزا من الجهاز نفسه .

فالمشكل ليس مشكل ايجاد طرق جديدة للتعبير والتفكير (السريالية ـ القصة الجديدة ـ مسرح العبث ـ الشعر الحرفي او البصري الخ) بل هو تحديد قاعدة انطلاق التجارب الجديدة واختيار طرق المواصلة والتبليغ والالتزام بطبقة معينة .

وبما ان الحركة الطلابية استطاعت ان تحرك الطبقة العاملة ولا سيما في فرنسا حيث شن ما يقرب من ١٠ ملايين عامل الاضراب ابان الاحداث ، اخذ العمل الثقافي والكفاح الايديولوجي اتجاها حاسما وطرحت المشاكل الحقيقية ، ولنعطي مثالا عن هذا الارتباط وعن مفعوله ، اخترنا ما قام به طلبة وفنانو مدرسة الفنون التشكيلية بباريس . تقرا في مقال عن نشاطهم : « منذ احتلال مدرسة الفنون الجميلة، اخذ الطلاب والفنانون التقدميون يسخرون كل امكانياتهم من آجل الكفاحات التي يخوضها العمال يوميا ، ان هذا العمل ليس عمل مخبر : فالعمال ياتون الى المدرسة بالشعارات ، ويناقشون مع الطلبة الفنانين وينتقدون الملصقات التي انتجت ثم يوزعوها في الخارج ، وعند مدخل المعمل يقرا ما يلي : ان العمل في المعمل الشعبي لهو مساندة ملموسة للتيار العظيم لاضرابات العمال الذين قد احتلوا المعامل من اجل مقاومة الحكم اللاشعبي ، فكل فرد يسخر قدراته من اجل كفاح العمال ، يعمل في الواقع لنفسه ، لانه ينفتح بالممارسة العملية على حكم الجماهير الشعبية التربوي .

هكذا فان اسلوب العمل البرجوازي قد انقضى : فمشاريع الملصقات تحققت جماعيا بعد تحليل سياسي للاحداث اليومية ، آو بعد مناقشات عند ابواب المصانع ، ثم تعرض هذه الملصقات على الجمعيات العامة في اخر النهار . وهكذا نقرر هل الفكرة السياسية صائبة ؟ هل الملصقة تبلغ الفكرة جيدا ؟ بعد ذلك فقط ، تنجز المشاريع المقبولة من طرف فرق تعمل بدون انقطاع ، ليل نهار . ان الكفاح مستمر ، وشيئا فشيئا تنشر الافكار السديدة بطريقة هذه الملصقات . والطلبة والفنانون التقدميون يعبئون انفسهم لخدمة كفاح الشعب ويتعلمون على يده ويصححون افكارهم باتصالهم مع الجماهير » وخلال ثورة مايو ١٩٦٨ تعددت مثل هذه التجارب في مختلف الميادين ولا سيما في ميدان المسرح والشعر والصحافة والتعليم ، والشيء الذي يلفت الاهتمام والذي اكد عليه الجميع ، اكان ذلك اثناء الاحداث او بعدها ، هو آن ثورة مايو مكنت الجماهير الطلابية والعمالية من ممارسة الحرية والكلمة ، وهذه الممارسة اظهرت للجميع الطبيعة القمعية للمجتمع الراسمالي ومجتمع الاستهلاك ، وبينت كذلك ان كل ما كان يسمى ثقافة كان في الواقع اداة ارغام على الصمت وعدم المسؤولية في التعبير .

نقد الجامعة البرجوازية

ومن جهة اخرى تصدت الحركة الى الجامعة لنقدها ولتوضيح مدى ارتباطها هي الاخرى بالهيكل البرجوازي القمعي ، ومن احسن التحاليل التي يجب الرجوع اليها دراسة كتبها الطلبة الالمان يمكن تلخيصها كما يلي :

- ان الجامعة التي تدخل في اطار الجهاز الراسمالي لهي جامعة طبقية .
- ان العلم الذي يلقن في الجامعة (عكس ما يزعم العلماء والمفكرون البرجوازيون) هو علم سياسي محض : انه يناقض الثورة .
- ان وضع الطلبة في هذه الاحوال ملتبس جدا فانهم يجدون انفسهم في وضع كلاب الحراسة للايديولوجية البرجوازية ويشاركون في الواقع ، ارادوا ذلك ام لم يريدوه في اهداف الجامعة السياسية .

واذ نلح شيئا ما على هذا النقد فللتشهير لاهميته بالنسبة الينا ولا سيما ان جامعات الدول التي كانت مستعمرة من قبل ليست في الواقع الا صورا مبتذلة للجامعات الغربية التي بين الطلبة الاوروبيين مدى لا عقلانيتها وطبيعتها الطبقية والايديولوجية القمعية .

خلاصة

سوف نكتفي بهذا القدر من الامثلة .

والمقصود على كل حال كان تبين ضرورة الخروج من مناهج ومصطلحات ومتع فكرية كانت و تزال تؤثر بمغناطيسيتها الخارقة على فكرنا والمقصود كذلك هو توضيح وتحديد الاسس الجديدة التي يمكن ان نبني عليها انطلاقة الجديدة وطموحنا الى ثقافة متاصلة بواقعنا التاريخي والملموس،منفتحة بثقة تامةعلى التيارات التحررية . هذه الثقافة التي ستعلن ميلاد الانسان المغربي العربي الجديد، الواعي والخلاق

وهذا لا يتطلب فقط التحليلات والمناظرات والمحاضرات بل يستلزم التعبئة والشجاعة الفكرية وخوض بحر الجماهير ، العنيف والمضيء . لهذا سنختم عرضنا بكلمة لايمي سيزير :

« دورنا ليس ان نضع تصميما مسبقا لثقافة المستقبل . ان دورنا متواضع ويكمن في الاعلان عن مجيء ان لم الجواب : الشعب ، شعوبنا التي ستحرر من قيودها ، وعبقريتها الخلاقة عندما تنعتق من اسباب التجميد .

اننا اليوم في حالة بلبلة فكرية ودور ان نصرح : حرروا ذلك الجبار الذي يمكنه وحده ان يحول البلبلة الى تكوين جديد ، هذا التكوين الذي يستحق وحده ان يوصف بكلمة ثقافة .

اننا هنا لنقول ونكرر : اعطوا الكلمة للشعوب ، دعوا الشعوب تدخل خشبة التاريخ الكبيرة » .

اسرائيل : مجتمع عسكري

دراسة شاملة

بقلم

مازن البندك

في الاسواق

٥ ل.ل

جورجي ديمتروف

حول الجبهة الوطنية المتحدة

يصدر قريبا عن دار الطليعة